الحركة الصهيونية في ظل الحكم الهتلري بينما تقهقر مركز اليهود الالمان. وسمح للمنظمة الصهيونية بفتح مراكز تدريب مهنية وزراعية للمرشحين اليهود الذين ارادوا ان يهيئوا انفسهم لحياة جديدة في الشرق الاوسط . وتم تنظيم دروس في العبرية في عدة مدن . وبتوجيه من رجل ذي قيمة بالغة ، هو روبرت فيلتش ، حملت الصحيفة الصهيونية يورديشه روندشاو الامل بحياة افضل لالوف من اليهود .

وصارت المصالح المشتركة للجانبين تتطلب الاسراع في هجرة اليهود من الاراضي والبلدان التي سيطر عليها النازيون . ومنذ نهاية ١٩٣٨ كان مبعوثان من فلسطين ، هما بنحاس غينزبرغ وماكس زيملر ، يعملان بلا كلال على اراضي الرايخ لتحضير القوافل غير القانونية الى فلسطين . ولم يضع الغستابو اية عراقيل في طريق نشاطهما . ويوضح الكاتب ان الاتفاقيات بين المبعوثين الصهاينة والسلطات النازية ، التي قدمت المانيا النازية بموجبها مساهمة حيوية في تعزيز الطاقة البشرية والتدريب وبالتالي الاستعداد العسكري للصهيونية، لم تكن تدابير غير رسمية . بل كانت اتفاقيات رسمية دخلتها الحكومة النازية سرا : تحالف مصلحة لمر به هتلر نفسه . فقد قرر الفوهرر الاستمرار في تشجيع الهجرة اليهودية من المانيا « بكل الوسائل المتوفرة » . والمعروف ان الكثيرين من النازيين جمعوا ثروات كبيرة من ممتلكات ضحاياهم اليهود . الا ان الامر الذي يجهله الكثيرون هو ان المنظمين الصهيونيين للهجرة نالوا حصتهم ايضا من الفوائد المادية على حساب اليهود الافراد .

وبعد سنتين من الحرب وجد هتلر انه لم يعد من الممكن تخليص اوروبا من اليهود ، لذلك اختار « الحل النهائي » لمعسكرات الابادة . وهكذا صار الصهاينة يواجهون اختيارا حاسما بين سبيلي عمل . الاول هو اعلان الحرب على النازية ورفع راية انتورة اليهودية على النازيين في جميع انحاء اوروبا . وبالطبع يعني هذا التخلي عن جميع الاحتمالات لتأمين حتى هجرة « قانونية » محدودة جدا للطاقة البشرية من اوروبا عن طريق التعاون مع النازيين في المستقبل . وكان الاختيار الثاني المفتوح امام الصهاينة هو القبول بان الحالة قد تغيرت ، موقتا على الاقل ، في اتجاه غير مؤات لهم ، ومحاولة التوصل الى ترتيبات جديدة ، محدودة اكثر . وخلال الفترة ١٩٤١ ـ ١٩٤٤ قطع عدد من الصهاينة الافراد في اوروبا الشرقية التي يحتلها النازيون ، امثال موردخاي انيلفتش ، صلاتهم بالسياسة التقليدية الصهيونية وشاركوا في ثورات ضد النازية . وكانت جميع هذه الثورات منظمة محليا في وارسو وفيلنو وبياليستول ، ولكن دون التعاون مع الحركة الصهيونية على الصعيد الدولي .

ويلاحظ غلوب ان التاريخ لا يسجل اي اعلان للثورة من قبل الحركة الصهيونية ضد النازيين في اوروبا ، لقد حاول اليهود في مدينة فيلنو ، مثلا ، ان يقوموا باعمال تخريبية ضد النازيين ، لكن امالهم في انتفاضة جماهيرية لم تتحقق . واحد العوامل الرئيسية في هذا الفشل كان الدور الذي قام به جاكوب جنس ، وهو متعاون صهيوني رئيسي مع النازيين ، الذين جعلوه رئيسا لقوة شرطة يهودية في فيلنو . وكما يقول روبنشتاين : « ... ما من زعيم اخر من زعماء الغيتوات ذهب الى ذلك الحد في خدمة النازيين كما فعل جنس . وما من زعيم اخر من زعماء الغيتوات استعمل قوة شرطته لتنفيذ القتل الفعلي